لائم فان اللوم يدرك الفارس فيصرعه عن فرسه ويجعله طريحا بالارض
الثالث ان تهون عليه نفسه في الله فيقدم حينئذ ولا يخاف الاهوال فمتى
خافت النفس تأخرت واحجمت واخلدت الى الارض ولا يتم له هذان الامران الا بالصبر
فمن صبر قليلا صارت تلك الاهوال ريحا رخاء في حقه تحمله بنفسها الى المطلوب به
فبينما هو يخاف منها اذ صارت اعظم اعوانه وخدامه وهذا امر لا يعرفه الا من
دخل فيه واما قربه فصدق اللجا الى الله والانقطاع اليه بكليته وتحقيق
الافتقار اليه بكل وجه والفراغة اليه وصدق التوكل عليه والاستعانة به
والانطراح بين يديه كالاناء المثلوم المكسور الفارغ الذي لا شيء فيه يتطلع
لقيمه وولية ان يجبره ويلم شعثه ويمده من فضله ويستره فهذا الذي
يرجى له ان يتولى الله هدايته وان يكشف له ما خفي على غيره من طريق هذه
الهجرة ومنازلها فصل ورأس الامر وعموده في ذلك انما هو دوام التفكر
وتدبر آيات الله بحيث يستولي على الفكر ويشغل القلب فاذا صارت معاني
القرآن مكان الخواطر من قلبه وجلس على كرسيه وصار له التصرف وصار هو
الآمر المطاع امره فحينئذ يستقيم له سيره ويتضح له طريقه ويتراءى له سكانها
وهو يباري الريح وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فصل
فان قلت انك قد اشرت الى امر عظيم فافتح لي بابه واكشف لي حجابه وكيف تدبر
القرآن وتفهمه والاشراف على عجائبه وكنوزه وهذه تفاسير الائمة
بايدينا فهل في البين غير ما ذكروه قلت سأضرب لك مثلا تحتذي عليها
وتجعلها اماما لك في هذا المقصد قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون الى قوله العليم

بك

بك اذا قرأت هذه الآيات وتطلعت على معناها وتدبرتها فانما تطلع
منها على آيات الملائكة تراءوا لابراهيم في صورة اضياف وبشروه بغلام عليم
وان امرأته عجبت من ذلك فاخبرتها الملائكة ان الله قال ذلك ولم يتجاوز
تدبرك غير ذلك فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من الاسرار وكم
قد تضمنت من انواع الثناء على ابراهيم وكيف جمعت آداب الضيافة وحقوقها
وكيف تراعي الضيف وما تضمنت من الرد على اهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة
وكيف تضمنت علما عظيما من اعلام النبوة وكيف تضمنت صفات الكمال
التي مردها الى العلم والحكمة وكيف اشارت الى دليل امكان المعاد الطف اشارة و
اوضحها ثم افصحت وقوعه وكيف تضمنت الاخبار عن عدل الرب وانتقامه
من الامم المكذبة وتضمنت ذكر الاسلام والايمان والفرق بينهما وتضمنت
بقايات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى اليوم الآخر وتضمنت
انه لا ينتفع بهذا كله الا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة وهم المؤمنون
بها واما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها فلا ينتفع بتلك الآيات فاسمع
الآن بعض تفاصيل هذه الجملة قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين افتتح سبحانه القصة بصيغة موضوعة للاستفهام وليس المراد
به حقيقة من الاستفهام ولهذا قال بعض الناس ان هل في مثل هذا الموضع
بمعنى قد التي تقتضي التحقيق ولكن في ورود الكلام في مثل هذا بصيغة
الاستفهام سر لطيف ومعنى بديع فان المتكلم اذا اراد ان يخبر المخاطب
بامر عجيب ينبغي الاعتناء به واحضار الذهن له صدر له الكلام بادأة تنبه
سمعه وذهنه للمخبر فتارة يصدره بالاوتارة يصدره بهل فيقول له هل
علمت ما كان من كيت وكيت اما مذكرا به واما واعظا له مخوفا واما منبها

Copyright © King Saud University